مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

تطور الحركة الوطنية التونسية
(١٩٣٩ – ١٩٥٦م)

أ.م.د. عبد الله الزبير يوسف الزبير

الأستاذ المشارك – قسم التاريخ

كلية الآداب – جامعة بخت الرضا

جمهورية السودان

مُلَخّص

الكثير من صفحات التاريخ الإفريقي الحديث خاصةً حقبة الاستعمار لم يُكشف عنها النقاب بعد، وأيضًا الكثير منها مُحرف لا يمُت للحقيقة بصلة لأنه كتب بأقلام أوربية، ولا يخرج استعمار تونس عن دائرة ذلك الحديث، حيث وقعت فريسة تحت مخالب الاحتلال الفرنسي عام ١٨٨١م، وترتب على ذلك الاحتلال أن انتفض الشعب التونسي مسجلاً أسمى غايات الكفاح على لوحة الشرف الإفريقية في مقاومة الفرنسيين بعد أن تأكد له أنهم غزاة مستعمرين. لذلك الأمر يحتاج لجهدٍ من الأفارقة أنفسهم لإبراز الحقائق المهمة ووضعها في صورتها الحقيقية، ولهذا تأتى هذه الدراسة كمحاولة لمعالجة جانبٍ ولو يسير من المشكلة. حيث تهدف الدراسة إلى توضيح تطور الحركة الوطنية التونسية خلال الفترة (١٩٣٩-١٩٥٦م) وتسليط الضوء على تجربة كفاح لدولة عربية إفريقية شهد لها التاريخ ضد حكم أجنبي استباح البلاد أرضًا وسكانًا، استخدمت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي والمنهج الاستقرائي، بهدف الوقوف على التطورات التي مرت بها الحركة الوطنية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية، وحقيقة كفاح ونضال الأمة التونسية. وقد توصلت الدراسة إلى أنَ الحركة الوطنية التونسية شهدت تطورًا ملحوظًا تمثل في تكوين جبهة التحرير الوطنية التي قادت البلاد إلى الاستقلال في العام ١٩٥٦م، وأوصت الدراسة بإعداد دراسة منفصلة ومستقلة لرموز جبهة التحرير الوطنية التونسية.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٦ أغسطس ٢٠٢١

تاريخ قبول النشر: ٣١ أغسطس ٢٠٢١

كلمات مفتاحية:

السلطة الفرنسية؛ الحركة النقابية التونسية؛ فرحات حشاد؛ الكفاح الوطني التونسي؛ الحبيب بورقيبة

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2021.250640

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

عبد الله الزبير يوسف الزبير. "تطور الحركة الوطنية التونسية (١٩٣٩ – ١٩٥٦م)".- دورية كان التاريخية.- السنة الرابعة عشرة- العدد الثالث والخمسون؛ سبتمبر ٢٠٢١. ص ١٩٦ – ٢٠٢.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: abdallaelzubeir441@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورية كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

قصة الاستعمار الأوربي لإفريقيا قصة قديمة خاصة بالسيطرة وحب التملك ظهرت بوادرها منذ العصور القديمة وتمثل ذلك في قيام الإمبراطورية الرومانية على شمال إفريقيا، وتعتبر الكشوف الجغرافية التي قامت في العصور الوسطى ما بين القرنين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين) امتدادًا لذلك الاستعمار، إلى جاء القرن التاسع عشر الميلادي الذي يُعرف بقرن الاستعمار وذلك نسبة لارتباطه بعوامل ودوافع جديدة ساهمت في ولووجه داخل إفريقيا. ولا شك أن (تونس) واحده من ضحايا هذا الاستعمار الآثم، حيث وقعت فريسة تحت مخالب الاحتلال الفرنسي عام ١٨٨١م، وترتب على ذلك الاحتلال أن انتفض الشعب التونسي مسجلاً أسمى غايات الكفاح على لوحة الشرف الإفريقية في مقاومة الفرنسيين بعد أن تأكد له أنهم غزاة مستعمرين – وهذه المقاومة لما لها من خصوصية وسط العالم الإسلامي والإفريقي كانت موضوع دراستنا بأخذ مقتطفات أو ملامح من تلك التطورات التي شهدتها الحركة الوطنية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية لأجل الوصول إلى الاستقلال ١٩٥٦م.

مشكلة البحث:

تتمثل في أنَ الكثير من صفحات التاريخ الإفريقي الحديث خاصة حقبة الاستعمار لم يُكشف عنها النقاب بعد، وأيضًا الكثير منها مُحرف لا يمُت للحقيقة بصلة لأنه كتب بأقلام أوربية، ولا يخرج استعمار تونس عن دائرة ذلك الحديث لذلك الأمر يحتاج لجهدٍ من الأفارقة أنفسهم لإبراز الحقائق المهمة ووضعها في صورتها الحقيقية – لذلك تأتى هذه الدراسة كمحاولة لمعالجة جانبٍ ولو يسير من المشكلة.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في أنه يُقدم تجربة نضال لدولة عربية إفريقية شهد لها التاريخ ضد حكم أجنبي استباح البلاد أرضًا وسكانًا، فإذا تمت هذه الدراسة بعمق ووجدت الاهتمام يمكن أن نأخذ منها الكثير من العبر والدروس في عصرنا هذا.

أهداف البحث:

- إجلاء بعض الحقائق التي تقاضى عنها الكثير من المؤرخين والباحثين عن تاريخ الحركة الوطنية التونسية لدوافع عديدة.
- إعداد دراسة وافية منفصلة ومستقلة عن التطورات التي مرت بها الحركة الوطنية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية.
- الوقوف على حقيقة كفاح ونضال الأمة التونسية.

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي مستخدمًا (المنهج الاستقرائي) معتمدًا على المصادر الأولية والثانوية.

أولاً: خلفية تاريخية عن التدخل الفرنسي والمقاومة التونسية

بعد أن احتلت فرنسا الجزائر شرعت في غزو تونس فعرضت على الباى عام ١٨٧٩م مشروعًا يقضي بقبول الحماية الفرنسية إلا أنه رفض ذلك، وفي عام ١٨٨١م نجد أنَ (جول فيرى) رئيس وزراء حكومة فرنسا قد بيت النية على غزو تونس فتزرع ببعض الحوادث على الحدود **(حميدي ٢٠٠١م، ١٩٢)**

مهدت فرنسا لحملتها بإثارة مشكلة القبائل بين الجزائر وتونس المتمثلة في قبائل (الدوائر والزمالة وقبيلة بنو خمير) وهى عبارة عن قبائل رعوية عبرت الحدود الفاصلة بين تونس والجزائر فعملت على تضخيمها، حيث أظهرت أن أمر هذه القبائل قد أفلت من يدَ الحكومة التونسية، فتبنت فرنسا إرسال حملة لتأديب هذه القبائل التي لا يملك الباى عليها أي سلطات تحت قيادة الجنرال (فور جيمول) والتي تكونت من ٥٧ ألف جندي تمكنت من احتلال تونس في ١٢مايو١٨٨١م بعد أن وقع الباي (محمد الصادق) بنود معاهدة الاستسلام **(الجمل ١٩٧٧، ٣٠٦)** عمدت فرنسا إلي أسلوب حكم مباشر مكنها من السيطرة علي كل مقاليد الدولة السياسية والاقتصادية، لذا شرعت المقاومة التونسية منذ أن وطأت أقدام الاحتلال أرض البلاد مثل ثورة القيروان١٨٨١م، مقاومة أهالي الجنوب١٨٨٢م، مقاومة مسجد الزيتونة١٨٨٣م **(محروس ٢٠٠٤م، ٤٢٥)** مقاومة حزب تونس الفتاة ١٩٠٧م ثم استمرت هذه المقاومات حتى قيام الحرب العالمية الأولي مثل مقاومة قبائل الجنوب بزعامة (الحاج سعيد) ورغم أنها كانت مقاومات عنيفة إلا أنَ الحكومة تمكنت من القضاء عليها ولكنها بقيت هي الأساس الذي قامت عليه الحركات الوطنية التي شهدتها البلاد بقيام الحرب العالمية الثانية وهي التي قادت البلاد إلي الاستقلال **(الفاسي ١٩٨٤م، ٤٨)**

ثانيًا: الحركة الوطنية التونسية خلال العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م)

كان التوتر العالمي والقمع الشديد الذي مارسته السلطات العسكرية قد حد كثير من النشاط الوطني **(الفاسي ١٩٨٤م، ٤٨)** في أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م أصبحت تونس مسرحًا عسكريًا للحلفاء بين عامي (١٩٤٢-١٩٤٣م) وشهدت تونس معارك بين ألمانيا والحلفاء وحاول الطرفان المتحاربان التقارب من تونس وكسبها في هذه المعركة **(شريف ١٩٦٦م، ١٢٥)** بعد ذلك أمعن الاستعمار في اضطهاد رموز الحركة الوطنية ولكن ذلك لم يمنعهم من مواصلة النشاط،

٢/١-جهود الباي محمد المنصف:

ومما شجع الحركة الوطنية تولي الباي (محمد المنصف) عرش تونس في عام١٩٤٢م هو أمير ذو نزعه وطنية وكان أكثر ثقافة من الذين اعتلوا عرش تونس وكان معروفًا بميوله للوطنية **(الزيدي ٢٠٠٨م، ٢٣٨)** في عام١٩٤٢م قدم الباي مذكره للمقيم العام ليحيلها إلى حكومة (فيشى) كانت تحتوي على عدة نقاط مماثلة لبرنامج الوطنيين ومطالبهم ذات الصبغة السياسية خاصة تمثيل التونسيين في (المنظمات المنتخبة) وعندما نزلت القوات الألمانية في تونس عام١٩٤٢م، استأنفت الحركة نشاطها في جو من الحرية لم تعرفه من قبل، وفي مايو ١٩٤٣م لذلك اضطرت القوات الألمانية إلى الانسحاب منها **(الجاني ١٩٥٨م، ١٣٢)**

لم تستطع السلطات الفرنسية الجديدة الصبر على السياسة الوطنية الرشيدة التي اتبعها الباي محمد المنصف، والتي أكسبته محبه شعبية واسعة أنَ أصدرت أمرًا عسكريًا بخلعه من العرش لأنه كان مناهضًا لسياسة (جيرو) المقيم العام الفرنسي وعينت مكانه (محمد الأمين) وهو أخر من تولي حكم البلاد من العائلة الحُسينية ولكن الباي محمد المنصف رفض توقيع التنازل عن العرش، فنفي إلى واحة (الأغواط) ليذوق عذاب الأسر وظل الثعالبي وأنصاره يطالبون بعودته حتى وفاته بمنفاه في فرنسا عام١٩٤٨م **(محروس ٢٠٠٤م، ٥٩٧)**

٢/٢-ردة فعل السلطة الفرنسية:

عملت فرنسا على فرض الأحكام العرفية وإلغاء الحريات وتشديد الخناق على الحركة الوطنية وفرض الرقابة على الصحف وتعطيل الجرائد، وإيقاف قيادات الحزبين الدستوريين وإصدار أحكام قاسية ضدهم وإيداعهم في السجون، ثمَ شهدت فترة الحرب تجنيد التونسيين الشباب حتى بلغ عددهم حوالي (أربعون ألف) مُجند وأحكمت السلطات البريطانية قبضتها على البلاد أثناء الحرب خوفًا من حدوث اضطرابات تحد من مصالح فرنسا العليا، بالرغم من الإرهاب والتقتيل الجماعي فان الشعب لم يستسلم بل رد بالفعل على ممارسات الاحتلال العدائية، بأن بذر بذور التمرد والثورة – فقامت انتفاضات مسلحة في السجون التونسية واستمرت هذه الانتفاضة ردحًا من الزمن عبر فيها الشعب بجماهيره الواسعة عن رفضه للاستعمار الأجنبي **(الزيدي ٢٠٠٨م، ٢٤٠)**

أصدرت الحكومة الفرنسية في نوفمبر عام ١٩٤٤م إعلانًا بعنوان نحو (كتلة فرنسية تونسية) دعت فيه إلى إقامة حكم ذاتي في الداخل على أسس ديمقراطية وتشكيل جمعية تشريعية بعد إجراء مشاورات وطنية **(الطاهر ٢٠٠٢م، ٧١)** لذا اعترفت الحكومة بالحزب الشيوعي التونسي وبنشاطه الدعائي، كما شهدت الفترة إعادة تنظيم الحزب الدستوري الجديد وظهوره بمظهر يتسم بالحيطة والحذر، إلا أن السلطات الفرنسية أمام التغيرات الدولية وبعد وانتصارها في الحرب على (ألمانيا وإيطاليا) رأت أن تعدل من سياستها القمعية في تونس، فقررت وقف المطاردات لزعماء الحركة الوطنية وإطلاق سراحهم في الحركة الدستورية وسمحت كذلك بإعادة إصدار الصُحف التونسية(**بنت الدسوقي ٢٠٠٨م، ٢٥٣**)

يُعَدّ انتصار دول الحلفاء فاتحة عهد جديد في تونس تميز بتطور سياسي كبير على الساحة الأوربية التي أخذت تتحدث عن حق الشعوب في تقرير مصيرها واحترام حقوق الإنسان وحرية العمل النقابي، ونتيجة لذلك شهدت البلاد التونسية ظهور ما يسمي بالحركات النقابية **(الزيدي ٢٠٠٨م، ٢٣٩)**

ثالثًا: الحركة النقابية التونسية (١٩٤٦ – ١٩٤٩م)

ظهرت الحركة النقابية منذ عام١٩٤٤م تحت قيادة فرحات حشاد الذي كان عاملا في إحدى شركات النقل بصفاقس وسمي حركته باسم (الاتحاد العام للعمال التونسيين للشغل) الذي انضمت لعضويته مختلف الطبقات العاملة في سائر إنحاء البلاد، ولم يلبث أن صار لهذا الاتحاد دور بارز في الحركة الوطنية بعد تأسيسه في عام١٩٤٦م **(شريف ١٩٦٦م، ١٢٩)**

ووصف هذا الاتحاد بالتنظيم الدقيق المحكم الذي عمل إيجاد وحدة فولاذية بين جميع الهيئات المختلفة في تونس، وتمثلت مبادئ هذا الاتحاد في تحرير البلاد من الاحتلال مؤكدًا على حقوق العمال. وكذلك أن الشعب كل لا يتجزأ جميع صفوفه موحدة داعين للنضال ضد المستعمر لطرده من تونس **(محروس ٢٠٠٤م، ٥٩٩)**

اجتمع رموز الحركة الوطنية التونسية في ٢٥/أغسطس عام١٩٤٦م الذي كان يوافق ليلة القدر، نظم حزب الدستور الجديد مؤتمرًا وطنيًا عامًا سمي (بمؤتمر ليلة القدر) تحت رئاسة عروس الحداد وحضرت هذا المؤتمر كل القوي السياسية في البلاد، بما فيها الأحزاب والنقابات العمالية والزراعية، ونقابات الموظفين ومندوبون عن جامع الزيتونية، وفي هذه المؤتمر صار الجميع على اختلاف اتجاهاتهم وميولهم السياسية كتله واحدة متراصة في مواجهة العدو الاستعماري الفرنسي، بعد أن اتخذ المؤتمر قرارًا بالإجماع بمطالبة السلطات الفرنسية بالاستقلال التام للبلاد، فكان رد السلطات الفرنسية أن أمرت بمداهمة مكان الاجتماع ثم القبض على ٥٠ من أبرز المؤتمرين الذين يمثلون مختلف الاتجاهات السياسية، ووجهت إليهم تهمة التآمر على أمن الدولة الداخلي والخارجي **(الطاهر ٢٠٠٢م، ٢٠١)** وعلى إثر هذا الإجراء التعسفي أعلن فرحات حشاد رئيس الاتحاد العام لعمال الشغل من صفاقس، الإضراب العام بالبلاد عدا المستشفيات، إلا أنَ السلطات الفرنسية اتبعت سياسة الشدة تجاه الوطنيين التونسيين، فأصبح واجبًا على القيادات الوطنية أن تقوم بدورها في الكفاح من أجل الحرية والاستقلال **(محروس ٢٠٠٤م، ٥٩٩)**

بدأ الصدام بين الحركة الوطنية التونسية والسلطات الفرنسية في يونيو من نفس العام، وفي هذا الوقت برزت (شخصية صالح بن يوسف) الذي خلف بورقيبة أثناء غيابه عن تونس، بعد نجاحه في تشكيل الجبهة التونسية التي تجمعت فيها كل الأحزاب السياسية، فبذلك شهدت الحركة الوطنية التونسية تطورًا أكبر فقامت بتقديم مذكرة تطالب بتنفيذ بعض الإصلاحات، إلا أن فرنسا رفضت الاعتراف بأي إصلاح لا يمثل فيه المستوطنون الأجانب وخاصة في النظام السياسي **(سُلطان ١٩٧٥م، ١٥٤)**

رابعًا: الكفاح الوطني التونسي (١٩٤٩ – ١٩٥٢م)

في عام١٩٤٩م عاد بورقيبة من القاهرة فعاد الحزب الدستوري الجديد إلي الهيمنة من جديد متخذًا خطوة مهمة إلى الأمام بإعداد استراتيجية لكفاح تونس من أجل الاستقلال، تمثلت في استعداده لقبول حل وسط يفضي به تدريجيًا إلى غايته على أساس سياسة (خذ وطالب) وهو ما أصبح يعرف بالطريقة البورقيبية في تونس، وفي عام١٩٥٠م بدأت خلاياه تمتد كالشبكة على كامل البلاد، حتى تلك المناطق التي كان يصلها تأثيره مثل الشمال والغرب فكانت اجتماعاته تضم ألافًا من الأشخاص في عام١٩٥٠م أيضًا حدث أنَ أثيرت القضية التونسية في هيئة الأمم المتحدة التي وافقت على إدراج القضية التونسية على جدول أعمالها، وأصدرت لائحة دعت الحكومة الفرنسية إلى تطوير المؤسسات التونسية وفتح المفاوضات مع التونسيين لتمكينهم من الحصول على حقوقهم وتسير شؤونهم الخاصة طبقًا لقوانين الأمم المتحدة، لذا اضطر الفرنسيون علي قبول التفاوض في أغسطس عام ١٩٥١م **(سُلطان ١٩٧٥م، ١٥٤)**

والذي اتفق الطرفان فيه على أن يتساوى عدد الوزراء التونسيين مع عدد الوزراء الفرنسيين، واعتبر الفرنسيون ذلك آخر تنازل من جانبهم بحيث يمكنهم الإبقاء على سيطرتهم بالبلاد، فتكونت وزارة جديدة ضمت صالح بن يوسف من الحزب الدستوري الجديد والسيد (محمد بدره) رئيس اتحاد الغرف التجارية التونسية، وبدأت الوزارة مفاوضاتها وقدمت عدة مطالب تتمثل في بعض الإصلاحات منها: إعادة السلطة للباي وإشراك الوطنيين في الحكم **(خطاب ١٩٧٣م، ٢٦)** إلا أنَ الحكومة الفرنسية رفضت هذه المطالب، وفي عام١٩٥٢م أوقفت فرنسا مفاوضاتها مع الوطنيين التونسيين، وحظرت انعقاد مؤتمر الحزب الدستوري، فدخلت البلاد خلال سنتين إلى مرحلة جديدة من المواجهة مع فرنسا التي حاولت القضاء فيها على الحركة الوطنية، بقمع المظاهرات وإلقاء القبض على بورقيبة ومحمد شنيق إلى جانب زعماء كثر وقتلت البعض الآخر، كما نجح عدد قليل منهم ومن بينهم صالح بن يوسف الرجل الثاني في الحزب الدستوري في الفرار إلى القاهرة **(ياغي ١٩٩٣م، ١١١)**

٤/١-اغتيال الزعيم الوطني فرحات حشاد:

تم اغتياله في ٥/ديسمبر عام ١٩٥٢م على يد منظمة اليد الحمراء الإرهابية التي كونها المستعمرون الفرنسيون، وكان لاغتيال فرحات أثر عميق في نفوس أنصاره ورفاقه من المناضلين الذين بادروا إلى حمل السلاح، وصعدوا إلى الجبال لمواجهة المستعمرين**(ياغي ١٩٩٣م،٢٤١)** ولامتصاص غضب الشعب التونسي لجأت فرنسا إلى أسلوب المهادنة فقامت بتغيير المقيم العام الفرنسي الجنرال(ماست) الذي عرف بسياسة البطش والقوه، واستبدلته بمقيم جديد يسمي (موسن) وطلبت إليه إتباع سياسة اللين والمهادنة، وكذلك من أجل تحسين العلاقات التونسية- الفرنسية أفرجت عن الزعماء الوطنيين، ووافقت على تشكيل حكومة جديدة ومجلس تشريعي من(٤٥) نائب تونسي، إلا أن الحركة الوطنية رفضت هذا الإجراءات وطالبت بالمزيد، وقامت حركة مقاومة مسلحة بلغت ٣٫٠٠٠ألف ثائر ضد القوات الفرنسية ومنشآتها، ونشطت

في الخارج الحركة الوطنية التونسية مطالبة بإلغاء الحماية والاستقلال أسوة بالدول العربية الأخرى. **(جنتر ١٩٥٧م، ١٨٣)**

خامسًا: الاصطدام المُسلح بين فرنسا والحركة الوطنية (١٩٥٢-١٩٥٤م)

بعد أن فشلت عمليات المهادنة التي سعت لها الحكومة الفرنسية قررت الرجوع إلي العنف مرة أخري، فقامت بعملية استعراض كبيرة للجيش الفرنسي على متن باخرة حربية في البحر المتوسط، ثمّ قامت بإيقاف نشاط المئات من الوطنيين من ذوي النزعات المتعددة ومن الشيوعيين ثم حجمت نشاط الحبيب بورقيبة عام١٩٥٢م، فترتب علي ذلك أن أصبحت البلاد في من حالة الغليان، بررته زيادة عمليات القمع وضرب المراقبة المشددة على المراكز السكنية- لذا اتخذت الحركة الوطنية التونسية التي آل إليها الحزب الدستوري الجديد أشكالاً عديدة للمقاومة، فقد بادر رجالها إلى شن حملات إعلامية ودعائية واسعة النطاق لدي المنظمات العالمية مثل (الجمعية العامة للأمم المتحدة والبلدان الأوربية والعربية).**(الزيدي ٢٠٠٨م، ٢٤١)**

ثم اشتدت حركة الجهاد التونسي منذ أوسط عام ١٩٥٣م وتطورات إلى أن أصبحت حربًا تحررية، صارت لها كتائب تضم المئات من المجاهدين المنظمين المسلحين، وقد أخذت بحركاتها واندفاعها تثير الرُعب وسط السلطات الفرنسية والمستوطنين للنيل منهم في كل مكان، حتى استطاع المجاهدون السيطرة التامة على المناطق الجبلية الواقعة غرب تونس والممتدة من الشمال إلى الجنوب، فجن جنون السلطات الفرنسية فلجأت إلي أسلوب المطاردة والاعتقال والقتل للمجاهدين وحكمت بالإعدام علي كثيرٍ من التونسيين بمحاكمات صورية **(شريف ١٩٦٦م، ١٣٥)** لكن بالرغم من ذلك استمرت حركة الكفاح التونسي مما أدي إلي الاضطرابات في المدن على الرغم من تشديد فرنسا وممارستها للقمع، وفي الربع الأول من عام١٩٥٤م أمتد الاستياء العام من الحكم الاستعماري إلى المناطق الريفية لأول مرة في تاريخ تونس الحديث بعد أنَ انتظم الفلاحون في جماعات مسلحة **(خطاب ١٩٧٣، ٢٦)**

سادسًا: جبهة التحرير الوطنية التونسية والاستقلال

تكونت (فرق جيش تحرير تونس) في أول نوفمبر عام١٩٥٤م وتولى بعض المناضلين التونسيين قيادته، وانتشرت هذه الفرق في الجنوب حول مدينة سوسه وفي الغرب حتى حدود الجزائر حتى بلغ عدد التونسيين الذين سجلوا أسماءهم في هذه الفرق خمسة عشر ألف مجاهد، مما أنزل الرعب في مواكب المستوطنين، وانحصرت مهمة جيش التحرر في تطهير البلاد من الاستعمار وأذياله **(حميدي٢٠٠١م، ٢٠٠)** وبدأت نواة جيش التحرير التونسي- تهاجم المستوطنين الفرنسيين وتخرب وسائل الاتصال بقطع الأسلاك وإخراج القطارات عن خطوطها ومقاتلة الوحدات الفرنسية الصغيرة، فلجأت السلطات الفرنسية إلى استخدم القوه المفرطة لحسم مقاتلي جبهة التحرير، وفي وسط هذا الموقف المضطرب جاءت صدمة هزيمة الفرنسيين في معركة (ديان بيان في ٧/مايو١٩٥٤م) وتمخض عن ذلك تشكيل حكومة (منديس فرانس) الاشتراكية التي اضطرت إلى إعادة فتح المفاوضات من جديد، وأصدرت وعدًا بالاستقلال عرف بتصريح قرطاجة، وقامت بإطلاق سراح الحبيب بورقيبة الذي رحب بهذا التصريح، فاستقر الرأي على تشكيل وفد رسمي لتونس الأمر الذي تتطلب تشكيل وزارة تونسية جديده برئاسة أحد المعتقلين للقيام بهذه المهمة ووقع الاختيار على(الطاهر بن عمار) الذي كان من كبار الملاك المزارعين على أن يشترك معه ثلاثة من الدستورين بالإضافة إلي عدد من الوزراء المعتقلين لكي يفاوضوا فرنسا**(يحي ٢٠٠١م،٦٢٠)** إلا أن فرنسا اشترطت أولاً أمر تصفية جيش التحرير الذي كان تحت زعامة صالح بن يوسف أن يسلم السلاح قبل بدأ المفاوضات، فرض ابن يوسف ذلك لذا تراجعت فرنسا عن شرطها وبدأت المفاوضات، فصدر بلاغًا مشتركًا مع الحكومة التونسية في منتصف نوفمبر ١٩٥٤م ضمن سلامة التونسيين بعد تقديم أسلحتهم وذخائرهم للسلطات **(يحي ٢٠٠١م، ٦٢٢)**

٦/١-اتفاقية الحبيب بورقيبة عام١٩٥٥م:

لم يكن الحبيب بورقيبة أبدًا من أنصار الحلول العنيفة فهو لا يلجأ إلى القوه إلا عند بلوغ الحد الأقصى أو عندما يكون قد استنفذ جميع وسائل الإقناع **(جاسم ٢٠٠٧م، ٢٨٥)** دارت مفاوضات بين الطرفين حيث كان بورقيبة ممثلاً لتونس فصدرت هذه الاتفاقية في(٣/يونيو عام١٩٥٥م) وتم التوقيع على اتفاق منح تونس استقلالاً داخليًا مع الاحتفاظ بأمور السياسة الخارجية والأمن والدفاع بيد فرنسا، واعتبرت هذه الاتفاقية خطوة للأمام رغم اعتراضات بعض القيادات الوطنية عليها بأنها جاءت مخيبة لأمل للكفاح الوطني وتزعم هذا الاتجاه الثائر صالح ابن يوسف**(القصاب ١٩٩٣م، ٦١١)**

انتهز بورقيبة فرصة الحرب الدائرة بالجزائر مع الفرنسيين فشكل بورقيبة الوزارة التونسية الجديدة وسعى إلى تعديل

الاتفاقية السابقة في ٢٠/مارس عام١٩٥٦م تم توقيع بروتكول الاستقلال التام، وتحسنت العلاقات الفرنسية التونسية وحصلت بذلك تونس على استقلالها عام ١٩٥٦م وألغيت بذلك الحماية الفرنسية مع مراعاة المصالح الفرنسية لم يكن الحبيب بورقيبة أبدًا من أنصار الحلول العنيفة فهو لا يلجأ إلى القوة إلا عند بلوغ الحد الأقصى أو عندما يكون قد استنفذ جميع وسائل الإقناع **(شلبي ١٩٦٦م، ١٤٥)**

خَاتمَةٌ

ساهم سبب سوء إدارة البايات في غزو تونس عام ١٨٨١م – والجدير بالذكر أنَ المقاومة التونسية للاحتلال انفجرت منذ أن وطأت أقدام الاحتلال أرض البلاد ورغم أنها كانت مقاومات ضعيفة إلا أنها أكدت لقوات الاحتلال الرفض التام لهم من قبل الشعب التونسي. تواصلت هذه المقاومات بعد الحرب العالمية الأولي وذلك بظهور بعض التنظيمات التي دعت الاحتلال إلى الإصلاح السياسي، ثمَ استمر الكفاح الوطني بعد الحرب العالمية الثانية حتى توج النضال بقيام فرق جبهة التحرير التونسية المسلحة والتي استطاعت أن تقود البلاد إلى الاستقلال باتفاقية مارس ١٩٥٦م.

النتائج

- انتهزت فرنسا دخول بعض القبائل الرعوية التونسية الحدود الجزائرية في الاحتلال عام ١٨٨١م، معتبرتًا أنَ ذلك أمر فوضوي لابد من حسمه.
- عمدت فرنسا إلى أسلوب حكم مباشر في تونس مكنها من السيطرة على كل مقاليد الدولة السياسية والاقتصادية.
- بدأت المقاومة التونسية للقوات الفرنسية منذ أن وطأت أقدامهم أرض البلاد مؤكدين رفضهم التام للغزاة.
- كان للباي (محمد المنصف) جهوده المقدرة في تطور الحركة الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية.
- شهدت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية قيام ما يسمي (بالحركة النقابية التونسية) عام١٩٤٦م وهي عبارة عن حركة مطلبيه توضح مدي التطور السياسي الكبير على الساحة التونسية بعد أنَ انضم لعضويتها المئات من الوطنيين بالبلاد.
- ترتب على الحركة النقابية قيام حركة (الاتحاد العام للعمال التونسيين للشغل) ١٩٤٦م الذي كان له دوره في وحدة الصف التونسي وتزعم النضال ضد المستعمر.
- كان لاغتيال الزعيم التونسي (فرحات حشاد) عام ١٩٥٢م أثرًا عميقًا في تصعيد الحركة الوطنية بتحويلها إلى حركة مُسلحة ضد الفرنسيون والمستوطنون الأجانب.
- في عام ١٩٥٤م تكونت فرق جيش جبهة التحرير الوطني التي بلغ مجموعها حوالي (خمسة عشر ألف مُجاهد) والتي انحصرت مهمتها في تطير البلاد من الاستعمار وأذياله.
- تُوج الكفاح الوطني باتفاقية ٢٠مارس١٩٥٦م التي منحت التونسيين الاستقلال التام مع المحافظة على المصالح الفرنسية بالبلاد.

التوصيات

أوصى بالمزيد من الدراسات لبعض الموضوعات الخاصة بتاريخ الحركة الوطنية التونسية التي لا زالت **تفتقر للدراسة والتحليل مثل:**

- جهود الباي محمد المنصف في الحركة الوطنية.
- دور الزعيم فرحات حشاد.
- رموز جبهة التحرير التونسية (الحبيب بورقيبة، صالح بن يوسف)

المصادر والمراجع:

- حميدي، جعفر عباس، ٢٠٠١م: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار الفكر العربي/عمان، ط١.
- الجمل، شوقي عطا الله المغرب، ١٩٧٧م: **العربي الكبير في العصر الحديث**، مكتبة الأنجلو المصرية/القاهرة، ط١.
- محروس، حلمي إسماعيل، ٢٠٠٤م: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ج١، مؤسسة شباب الجامعة للنشر/الإسكندرية، ط١.
- علال، الفاسي، ١٩٨٤م: **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، مجلة الثقافة للنشر/القاهرة، ط١.
- شريف، محمد الهادي، ١٩٦٦م: **تاريخ تونس من عصور قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تعريب محمد الشاوش، دار سرار للنشر/بيروت، ط١.
- الزيدي، مُفيد، ٢٠٠٨م: **موسوعة تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية/ الإسكندرية، ط١.
- الجاني، علاء الدين، ١٩٨٥م: **تاريخ الوطن العربي**، دار الخير للطباعة والنشر/ دمشق، ط١.
- الطاهر، عبد الله، ٢٠٠٢م: **الحركة الوطنية التونسية**، دار المعارف للطباعة والنشر/ مصر، ط٣.
- دسوقي، ناهد إبراهيم، ٢٠٠٨م: **دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية للنشر/ الإسكندرية، ط١.
- سلطان، توفيق وآخرون، ١٩٧٥م: **دراسات في الوطن العربي والحركات الثورية والسياسية**، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر/ العراق، ط٣.
- خطاب، محمود شيت، ١٩٧٣م: **قادة المغرب العربي**، ج١، دار الفكر العربي/عمان، ط٢.
- ياغي، إسماعيل أحمد ومحمود شاكر، ١٩٩٣م: **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، ج٢، دار المريخ للنشر/الرياض ط١.
- جنتر، جون، ١٩٥٧م: **داخل إفريقيا**، ترجمة فاروق حافظ، ج١ مكتبة الأنجلو المصرية/القاهرة، ط١.
- يحي، جلال، ٢٠٠١م **العالم العربي الحديث والمعاصر**، ج٣، مؤسسة شباب الجامعة للنشر/الإسكندرية، ط١.
- جاسم، ظاهر، ٢٠٠٧م **التاريخ المعاصر للأمة الإفريقية**، دار شمخ للطباعة والنشر/أبو ظبي، ط١.
- القصاب، أحمد، ١٩٩٣م **تاريخ تونس المعاصر (١٨٨١ – ١٩٥٦م)**، الشركة التونسية للتوزيع والنشر/تونس، ط٣.
- شلبي، أحمد، ١٩٨٤م: **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية/القاهرة، ط٧.